شعر الاستعطاف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام
البواعث، والغايات، والخصائص

هاني علي وهبه، د. عبد الكريم أحمد ضاهر

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إدلب

الملخَّص

لم يكن الاستعطاف في العصر الجاهليّ ومرحلة صدر الإسلام ظاهرةً طارئة أو عرضيَّة، بل كان وسيلةً من وسائل التأثير من قِبَلِ الشاعر إلى مُخاطِبه. وقد كان لهذا الشعر بواعثُ أثَّر في إقامة النَّصِّ الاستعطافي، كما كان له غايات عدَّة أثَّر في تحديد مستوى الخطاب وطرقه.

ويعرضُ هذا البحث لمعنى الاستعطاف، كما يعرض لبواعث الاستعطاف وغاياته وخصائصه في العصر الجاهلي ومرحلة صدر الإسلام، مُدعَّمًا بالشواهد الشعريَّة المناسبة.

الكلمات المفتاحية: الاستعطاف، الباعث، الغاية، الخصائص، الجاهلية، صدر الإسلام.

Entreaty Poetry in the Pre-Islamic Era and Early Islam Motives, Goals, and Characteristics

Hani Ali Wahbh, D. Abdul Karim Daher

Abstract

In the pre-Islamic era and the period of early Islam, the Entreaty was not an urgent or absurd phenomenon, but it was rather a means of influence and persuasion by the poet to his address. This poetry had motives that contributed in establishing the intercessory text, as it had several goals that contributed to determining the level of the discourse and its methods.

This research presents the meaning of entreaty, as well as the motives, goals and the characteristics of entreaty poetry in the pre-Islamic era and the stage of early Islam, supported by appropriate poetic evidence.

Keywords: entreaty, motivation, goals, characteristics, Pre-Islamic, early Islam.

مقدمة:

تقوم العلاقات الارتباطيَّة بين الخطاب الشعري والمقام المستوجب له بدور فاعل وحاسم في بعث هذا الخطاب وتوجيهه التوجيه المناسب، ولكن بعض العلاقات الإنسانيَّة قد يعترضها فتور أو قطيعة أو عداء، فإذا وُجِدَت الرغبة من أحد الأطراف لاستبقاء العلاقة فإنَّه يعمدُ لاستعطافه عبر آليَّات متنوِّعة لغرض الإقناع والاستمالة.

لقد امتلك الشاعر العربي في الجاهليَّة وما بعدها وعيًا بأهمِّيّة الخطاب الوظيفي في توجيه السلوك الإنساني، وهذا ما تثبته كثير من الأخبار والمواقف والأشعار في تلك الفترة، إذ كانت الكلمات تؤجِّج حروبًا في بعض الأحيان، وكانت في أحيان أخرى تطفئ نيران الفتك والصراع.

ومن هنا وجد الباحث أهمِّيَّة البحث في موضوع الاستعطاف ودراسة البواعث التي هيَّأت الشاعر العربيَّ قديمًا للاستعطاف، وسبر الغايات التي من أجلها نهض النَّصُّ الاستعطافيُّ.

أهمِّيَّة البحث: تكمن أهمِّيَّة البحث في أهمِّيَّة موضوعه، فقد كان الاستعطاف من الخطابات الموجِّهة والمغيِّرة للمواقف المتأزِّمة، إذ امتلك الفاعليَّة اللَّازمة لتوجيه دفَّة الخطاب الوظيفي، وتفعيله تفعيلًا مُباشرًا عبر آليات متنوِّعة كالحجاج والإقناع، ولقد كان لشعر الاستعطاف بواعث أدَّت إلى نشأته، وغايات وظيفيَّة أسهمت في إقامة بنيان النَّصِّ الاستعطافي، وهذا ما سيعرضه البحث.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي الذي ينطلق من النص، من أجل تفسير النص ذاته، ودراسة توظيفه وغاياته.

الدِّراسات السَّابقة: سبقت هذا البحث دراسات أخرى في الاستعطاف، وقد اقتصرت على العصر الأندلسيّ، و كان أبرزها دراسة الباحثة: روشن عبد الستار مصطفى والتي عنونتها: استراتيجية الإقناع في شعر الاستعطاف في عهد ملوك الطوائف، وهي تختصُّ بدراسة شعر الاستعطاف في المرحلة الأندلسيَّة، وتحديدًا في عصر ملوك الطوائف، ودراسة محمد جاسر جبالي أسعد؛ إذ عرض لقصائد الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف عبر المنهج الوصفي، واستخلص السمات الفنِّيَّة لها، وكذلك

دراسة الدكتور وسام الخالدي: ظاهرة الاستعطاف في شعر ابن الآبار الأندلسي، وهي بحث منشور تحدَّث فيه عن أنواع الاستعطاف ودواعيه عند ابن الآبار الأندلسي، وكذلك الباحثة: ميرة غضاب التي درست الاستعطاف عند ابن زيدون ودواعيه، وثمَّة دراسة مقتضبة وقصيرة جداً للباحث: مهاجر جمال الذي عرض بعض النماذج الاستعطافية لبعض الأدباء الذين تعرَّضوا للسجن في العصر الأندلسي.

ولم يخلُ البحث من بعض الصعوبات التي تجاوزها الباحث، وكان أبرزها جمع المادَّة المتعلِّقة بالاستعطاف، ومحاولة فرز النصوص الاستعطافيَّة وتمييزها عن غيرها.

تعريف الاستعطاف:

تنوعت تعريفات الاستعطاف على ضآلتها، فمن ذلك ما ذكره التفتازاني في كتابه «مختصر المعاني في البلاغة»: (الاستعطاف: طلب العفو والرحمة)[1].

وقد عرَّفه محمد جاسر الأسعد بأنَّه (ذلك الشعر الذي يبثُّه الشاعر إلى شخص ما لاستمالة قلبه واستدرار عطفه، آملًا بعفوه وتخليصه من ضروب الإعنات والحرمان الذي يعانيه)[2].

وقد عرَّفه وسام علي محمد الخالدي فقال: (الاستعطاف غرض شعري أخذ لفظه من العطف... أمَّا اصطلاحًا فيدلُّ الاستعطاف على طلب العطف والرحمة من المستعطف منه نتيجة لوقوع المستعطف في محنة شخصيَّة كأن تكون خلافًا أو مجافاة تمخَّضت عن حسدٍ أو دسيسةٍ فعلت فِعْلَها بين المستعطِف والمستعطَف منه)[3].

وقد أشار يوسف قطريب لهذا المعنى في أثناء الحديث عن الاستعطاف فقال: (لقد نُظِم بهذا الغرض منذ البدايات الأولى للشعر العربي عندما راح الشاعر الجاهلي يستعطف قلب محبوبته كي تحنَّ عليه، وتنظر إليه بعين الرحمة والشفقة وتعودَ إليه، وليس هذا فحسب هو مجال الاستعطاف، بل تعدَّى ذلك إلى الكثير من القضايا الاجتماعيَّة، لكنَّه يتميَّز بكونه صادرًا عن نفسٍ ألمَّت بها المحن وذاقت صنوف العذاب، فراحت تطلب الرحمة والعطف ممَّن تراه أهلًا لإزالة تلك الهموم والمحن عنها)[4].

وأمَّا نزهة بوعياد فترى أنَّ الاستعطاف نوع من أنواع غرض المديح مستقلٌّ بذاته، وهو أقرب الألوان للاعتذار ولكنه غير تابع له، ولا يكون إلا من صغير نحو كبير[5].

أمَّا عبد العزيز عتيق فيرى أنَّ (قصيدة الاستعطاف تدور أكثر معانيها عادةً على ترفُّق الشاعر في الاحتجاج على براءته لما نُسِبَ إليه، واستمالة قلب المُسْتَعطَف أو المُعْتَذَرِ إليه، والتذكير بسالف ولائه أو خدماته، ووصف ما يعانيه في سجنه من ضروب الإعنات والحرمان إن كان مسجونًا)[6].

وكذلك يؤكد عزوز زرقان مهمة الاستعطاف كغرض شعري فيقول: (الاستعطاف يكون لاستمالة المنقذين والمنجدين)[7].

وبناءً على التَّعريفات السَّابقة واستقصاء نصوص الاستعطاف يمكن القول: إنَّ الاستعطاف غرضٌ شعريٌّ قوامه التَّلطُّف والتَّرفُّق في العبارة والاحتجاج في الخطاب، يستعمله المُسْتَعطِف ليستميل به قلب مُسْتَعطَفِه إليه، ويستثير فيه الشفقة والرحمة عليه، ليخلِّصه من ضروب الإعنات والقهر، وهو نوع من أنواع المدح، وهو مباينٌ للاعتذار.

المطلب الأوَّل: بواعث شعر الاستعطاف.

هيأت الظروف والمواقف المتنوعة شعراء الجاهلية وصدر الإسلام لإبداع شعر الاستعطاف، والحقَّ أنَّ هذا النوع من الشعر لم يكن ناتجًا عن مواقف واحدة، بل تنوَّعت بواعثه وتعدَّدت أسبابه ممَّا هيَّأ الجوَّ النَّفسيَّ المناسب لإنتاجه.

إنَّ المقصود بالبواعث هي الظروف الزمانيَّة أو المكانيَّة أو النَّفسيَّة التي ألجأت الشاعر للتفكير بإبداع نصٍّ استعطافي موجَّه، ومن خلال سبر كثير من النُّصوص الشعريَّة في الجاهليَّة ومرحلة صدر الإسلام فقد ظهر للباحث أبرز البواعث الرئيسة للاستعطاف، وهي:

1- **الأسر والسِّجن:** وهو الباعث الأوَّل والأكثر لقصائد الاستعطاف الَّتي أرسلها كثيرٌ من الشعراء لمستعطفيهم، أملًا في تخليصهم من ضروب الإعنات والقهر الَّذي يعانونه في ظلمات السجون.

فحين تُطبق الوحدة على الشاعر، ويؤازرها السجن الضيِّق المظلم مع ما فيه من قيود وأغلال؛ يندفع الشاعر لإنتاج خطاب استعطافي موجَّه لمن كان سببًا في وصوله إلى هذه الحال، وكان من هؤلاء عديُّ بن زيدٍ الَّذي تُرِكَ مسلسَلا بالقيود في سجنه، فما برح يرسل قصائد الاستعطاف دون أن ينسى وصف حاله فيه، فيقول[8]:

أَحَظّي كانَ سِلسِلَةً وَقَيداً وَغُلّاً وَالبَيانُ لَدى الطَبيبِ

أَتاكَ بِأَنَّني قَد طالَ حَبسي وَلَم تَسأَم بِمَسجونٍ حَريبِ

ويعرضُ عديٌّ حاله لإخوته في خطابٍ وظيفي شاكيًا لهم القيود والأغلال التي تثقل جسده وروحه، كما في قوله[9]:

يا أَبَا مُسهِرٍ فَأَبلِغ رَسُولاً إِخوَتي إِن أَتَيتَ صَحنَ العِراقِ

أَبلِغا عامِراً وَأَبلِغ أَخاهُ أَنَّني مُوثَقٌ شَديدٌ وَثاقي

في حَديدِ القِسطاسِ يَرقُبُني الحارِسُ والمَرءُ كُلَّ شَيءٍ يُلاقي

في حَديد مُضاعَفٍ وَغُلولٍ وَثِيابٍ مُنَضَّحاتٍ خِلاقِ

وقوله[10]:

أَرادوا أَن يُمهِّل عَن كَبيرٍ فَيُسجَنَ أَو يُدَهدَى في قَليبِ

وكذلك يذكر شكواه ومعاناته في السجن لاستمالة القلوب وترقيقها، وهذا يؤكّد أنَّ السجن بوطأته كان دافعًا لإبداع النَّصّ الاستعطافي، يقول[11]:

أَبلِغِ النُعمانَ عَنّي مَألَكاً إِنَّني قَد طالَ حَبسي وَانتِظاري

لَيتَ شِعري عَن دَخيلٍ يَفتَري حَيثُما أَدرَكَ لَيلي وَنَهاري

قاعِداً يَكرُبُ نَفسي بَثُّها وَحَراماً كانَ سِجني وَاِحتِصاري

وقد كثرت القصائد والأبيات الَّتي كان بواعثها الأسر، وسبب ذلك أنَّ العرب كانت دائمًا في حالة تجاذبٍ وتحاربٍ فيما بينها، وكان يقع العربيُّ في بعض الأحيان في الأسر، فيحرّك له الأسر لواعجه، فيجد نفسَه ضعيفًا عاجزًا، فيحاول أن يجد لنفسِه مخرجًا من ضيقه، فيستعطف آسرَه، كما حصل مع الأعشى حين استعطف علقمة بن علاثة بعد أن وقع في أسْرِه، فقال[12]:

أَعَلقَمُ قَد صَيَّرَتني الأُمورُ إِلَيكَ وَما كانَ لي مَنكَصُ

كَساكُم عُلاثَةُ أَثوابَهُ وَوَرَّثَكُم مَجدَهُ الأَحوَصُ

وَكُـلُّ أُنـاسٍ وَإِن أَفـحَـلـوا إِذا عـايَنوا فَحلَكُم بَصـبَصـوا

وَإِن فَحَصَ الـنـاسُ عَن سَـيِّدٍ فَسَـيِّدُكُم عَـنـهُ لا يُـفـحَـصُ

فَهَـل تُنكَرُ الشَـمسُ في ضَـوئِهـا أَوِ الـقَـمَـرُ الـبـاهِـرُ الـمُـبـرِصُ

فَهَـب لـي ذُنوبـي فَـدَتـكَ النُفوسُ وَلا زِلـتَ تَـنـمـي وَلا تَـنـقُـص

ومن ذلك ما وقع لليلى بنت لكيز حين وقعت في أسـر أحد أمراء العجم وحملها إلى فارس، فقالت في أسرها تصف العناء الذي تعانيه[13]:

لَـيـتَ لِلـبَـرَّاقِ عَيـنـاً فَـتَـرى مـا أُقاسـي مِـن بَـلاءٍ وعَـنـا

يـا كُلَيبـاً وعُقيلًا إخوتي يـا جُنَـيـداً أسعدوني بِالبُـكـا

عُـذِّبَـت أُختُـكُـمُ يـا وَيلَـكُـم بِعـذابِ النُكـرِ صُبـحـاً ومَـسـا

غَلَّلُـونِـي قَيَّـدونـي ضربوا ملمس العفَّة منِّي بـالعصـا

وقد يقع بعض أقارب الشاعر الجاهليّ في الأسـر، فيعمدُ الشـاعر لاستعطاف آسِـرِه، في محاولة الوصـول إلى سـبيل يطلق بها قريبه، على نحو ما حدث مع علقمة الفحل، حين وقع أخوه في أسـر الحارث بن أبي شـمر الغسـاني، فقال بين يديه قصـيدة طويلة، استعطفه في نهايتها فقال[14]:

وفي كـلِّ حيٍّ قـد خبطـت بنعمـةٍ فـحُـقَّ لشـأسٍ مـن نـداك ذنـوبُ

وأمَّا الحطيئة فقد غيَّبه السـجن بظلامه عن أولاده وأهله، فتوجَّه مسـتعطفًا إلى الخليفة عمر بن الخطَّاب قائلًا[15]:

مـاذا تَـقـولُ لِأَفـراخٍ بِـذي مَـرَخٍ حُمرِ الحَواصِـلِ لا ماءٌ وَلا شَـجَرُ

غيَّبـتَ كـاسِـبَهم في قَعرِ مُظلِمَـةٍ فَـاغفِر عَلَيـكَ سَـلامُ اللهِ يـا عُمَرُ

أَنـتَ الأَمينُ الَّذي مِن بَعدِ صـاحِبِهِ أَلقَـت إِلَيـكَ مَقـاليـدَ النُهى البَشَـرُ

لـم يـؤثـروك بـهـا إذ قـدَّمـوك لـهـا لكن لأنفسـهم كـانـت بهـا الأثرُ

وكان عبد الرحمن بن حنبل قد هجا الخليفةَ عثمان بن عفَّان رضيَ الله عنه لأنَّه -برأيه -أعطى مروان بن الحكم أكثر مما يستحقُّ من فيء إفريقية، فأمر عثمان بحبسه، فحُبِسَ في حصن القموص -جبل بخيبر -فقال يستعطف عليًّا، ويصف له حاله في السجن[16]:

إلى الله أشكو لا إلى الناس ما عدا أبا حَسَنٍ غِلًّا شَدِيْدًا أُكَابِدُهْ

بخيبرَ في قعر القموص كأنها جَوَانِبُ قَبرٍ أَعْمَقَ اللَّحْدَ لَاحِدُهْ

أإن قلتُ حقًّا أو نشدت أمانةً قُتِلتُ، فمن للحقِّ إن مات ناشدُه؟

2- **الوعيد:**

وقد يتوعَّد أحد الملوك شاعرًا بعد أن بلغه عنه سوءًا، فإذا بالشاعر يضيق ذرعًا من وعيده، فيرسل القصائد يستعطف الملك بها، على نحو ما فعل النَّابغة الذبيانيُّ حين أرسل للملك النعمان كثيرًا من القصائد منها قوله[17]:

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رَيبَةً وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

لَئِن كُنتَ قَد بُلِّغتَ عَنّي خِيانَةً لَمُبلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وَأَكذَبُ

فَلا تَتَرُكَنّي بِالوَعيدِ كَأَنَّني إِلى الناسِ مَطلِيٌّ بِهِ القارُ أَجرَبُ

3- **خوف القتل:**

إنَّ نفس الإنسان عزيزة عليه، فإذا ما شعر بخطر فقدانها فإنَّه يعمد للتفكير بتوخِّي طرق النَّجاة، ولأنَّ العربيَّ يمتلك من الحسِّ والشعور ما يعينه على إنتاج نصٍّ شعريٍّ عالي الصياغة -لا سيَّما أنَّ العرب معروفون بتميُّزهم بالفصاحة والبلاغة والبيان -فإنَّه يواجه مصيره بحنكة وقوَّة دفاع، فيعتمد الخطاب الاستعطافيَّ القائم على إبراز الحجَّة والاستمالة والإقناع.

ولقد كان الخوف من القتل باعثًا لبشر بن أبي خازم ليستعطف أوس بن حارثة الذي أسره وهمَّ بقتله، فقال في ذلك[18]:

وإني لراجٍ منك يا أوسُ نعمةً وإني لأُخْرَى مِنْكَ يا أوسُ راهبُ

فهـل ينفعنّي اليومَ إنْ قُلْـتُ إنَّني سـأشـكرُ إن أنعمْتَ والشُّـكرُ واجبُ

وقد يسـتعطف الشـاعر ليمنع القتل عن أبناء قبيلته، كما فعل خِدَاش بن زهير حين استعطف بني عامر بن صعصعة ليمنع القتل عن أبناء قبيلته، فقال[19]:

أيـا راكبـاً إمّـا عرِضـتَ فبلّغنْ عَـقِيـلاً وأبْـلـغ إن لـقيـتَ أبـا بَـكْـرِ

فـيـا أخَـوَيـنـا مـن أبـيـنـا وأمـنـا إليكم إليكم لا سـبيـلَ إلى جَسْـرِ

دعُوا جـانبي إني سـأترك جـانبـاً لكم واسـعًـا بين اليَمـامـة والقَهرِ

أبى فارسُ الضَّـحْياءِ عمرو بنُ عامرٍ أبى الـذَّمَّ واختـار الوَفـاء على الغَـدْرِ

ومنه اسـتعطاف كعبٍ للنَّبيّ عليه الصَّـلاة والسـلام خوف القتل، بعد أن أهدر النَّبيُّ دمه، فقال[20]:

نُـبِّـئْـتُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ أَوْعـدَنـي والـعَـفْـوُ عِـنْـدَ رَسُـولِ اللهِ مَـبْـذُولُ

مَهْلاً هَـدَاكَ الـذي أَعْطَـاكَ نـافلَـةَ الْـ ـقُرْآنَ فيهـا مَوَاعِيظٌ وتَفْصِـيـلُ

لا تـأْخُـذَنّي بـأَقْوَالِ الوُشـاةِ ولم أُذْنِـبْ ولَـوْ كَـثُـرَتْ فِـيَّ الأَقَـاويـلُ

ولقد يكون الباعث على الاستعطاف وقوع القتل، ومن ذلك ما قالته خويلة عجوز بني رئام حين لحقت بمَرْضاوي بن سعوة المهري وهو ابن اختها –تستعطفه ليثأر لأبناء أختها الذين قتلهم بنو ناعب وبنو داهن، فأناخت بفنائه وأنشأت قصيدة، منها[21]:

يـا خـيـر مـعـتـمـدٍ وأمـنـع مـلـجـأٍ وأعـز مـنـتـقـم وأدرك طـالـب

جـاءَتْـكَ وافـدةُ الـثَّـكـالـى تَـغْـتَـلِـي بِسَـوَادِها فَوْقَ الفَضَـاءِ النَّاصِـبِ

فـابْرُد غَليـلَ خُويلـةَ الثَّكلى الَّتي رُمِيَتْ بأثقلَ من صـخور الصَّـاقِبِ

وتـلافَ قَـبـلَ الـفَـوْتِ ثـأريَ إنَّـهُ عَـلـقٌ بـثـوبَـيْ داهِـنٍ أو نـاعِـبِ

4- **الغدر**: وقد تكون قصيدة الاستعطاف نتيجة غدرٍ لحق بالشاعر أو قبيلته، فينطلق ليسـتعطف من ينصـره وقومه، ومن ذلك ما فعل عمرو بن سـالم الخزاعي حين

غدر بنو بكر أحلاف قريش بخزاعة حلف النبي عليه الصلاة والسلام، فانطلق عمرو يستعطف النبي عليه الصلاة والسلام، وممَّا قاله[22]:

يـا رب إِنِّـي نَـاشِـــدٌ مُـحَـمَّـدًا
حِـلْـفَ أَبِـيـهِ وَأَبِـيـنَـا الْأَتْـلَـدَا
قـد كـنـتـمُ وُلْـدًا وَكُـنَّـا وَالِـدَا
ثُـمَّـتَ أَسْـلَـمْنَـا فَلَمْ نَنْزِعْ يـدا
فـانصـر رسـول الله نصـرا أبـدا
وَادْعُ عِـبَـادَ اللَّهِ يَـأْتُـوا مَـدَدَا
فِـيـهِـمْ رَسُـولُ اللَّهِ قَـدْ تَـجَـرَّدَا
إِنْ سِـيـمَ خَسْـفًـا وَجْهُـهُ تَرَبَّـدَا
فِي فَيْلَقٍ كَـالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِـدَا

5- **النَّدم:** وقد يندم الشـاعر على أفعال أو أقوال بدرت منه في حقّ أحدٍ ما، فيكون ندمه سببًا لإنشاء قصيدة استعطافيَّة يكون هدفها استمالة المُخاطَب، كما فعل ابن الزبعرى الذي حارب النَّبيَّ عليه الصلاة والسلام وآذاه، ثمَّ توجَّه للنبي عليه الصلاة والسلام واعتذر له واستعطفه، فقال[23]:

مَـنـعَ الـرُّقَـادَ بَـلابِـلٌ وهُـمُـومُ والَّـلـيـلُ مُـعْـتَـلِـجُ الـرِّوَاقِ بَـهِـيـمُ
مِـمَّـا أتـانـي أنّ أَحْـمَـدَ لامَـنـي فِـيـه فَـبِـتُّ كـأَنَّـنـي مَـحْـمُـومُ
يَـا خَيْرَ من حَمَلَتْ على أَوْصَـالِهَا عَـيْرَانَـةُ سُـرحُ اليَـدَينِ غشـومُ
إِنِّـي لـمُـعْـتَـذِرٌ إِلـيـكَ مِـنَ الَّـذي أَسْـدَيْتُ إِذْ أَنَـا في الضَّـلالِ أَهِيمُ

كما توجَّه له بقصدة أخرى قائلًا في بعضها[24]:

يـا رسـولَ المَلِيـك إن لسـاني راتـق مـا فـتـقـت إذ أنـا بـور

إذ أباري الشيطان في سنن الغيْ ـــــي ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي ثم قلبي الشهيد أنت النذير
إنني عنك زاجر ثم حيا من لؤي وكلهم مغرور

وأمَّا طُليحة بن خويلد الاسدي فقد ارتدَّ في زمن أبي بكر الصديق، لكنَّه ما لبث أن عاد إلى الإسلام، وأظهر ندمه الشديد، فأرسل إلى أبي بكر يُظهِرُ ندمه ويستعطفه ليعفوَ عنه، فقال[25]:

نَدِمْتُ على ما كانَ من قتْلِ ثابتٍ وعُكَّاشة الغنمين ثمَّ ابن معبد
وأعظم مِنْ هاتينِ عندي مصيبةً رجوعي عن الإسلام فِعْلَ التعمد
وتركي بلادي والحوادث جَمَّةٌ طريداً وقِدْماً كنتُ غَيْرَ مطرد
فهل يقبل الصِّدِّيقُ أنّي مراجعٌ ومُعطٍ بما أحدثتُ مِنْ حَدَثٍ يدي

6- **الخوف من الفراق:** وقد يكون الباعث هو الخوف من الفراق، على نحو ما حصلَ مع سلامة بن جندل حين أراد السفر، لكنَّه وجد ابنته أمامه تستعطفه ليعدِل عن فكرته، فقال ناقلًا هذا المشهد[26]:

تقولُ ابنتي: إنَّ انطلاقكَ واحداً إلى الرَّوعِ، يوماً تاركي لا أباليا
دَعِينا مِنَ الإشفاقِ أو قَدِّمي لَنا منَ الحدثانِ والمنيَّةِ راقيا
ستتلفُ نفسي، أو سأجمعُ هجمةً ترى ساقييها يَأْلَمَانِ التَّراقيا

وكذلكَ كان الرحيل باعثًا لزوجة الحطيئة لاستعطافه حين أراد أن يسافر، فقد أتته بعد أن أعدَّ راحلته ليركب، فقالت[27]:

اذكر تحنُّنَنَا إليكَ وشَوْقَنا واذكرْ بناتِكَ إنهنَّ صِغارُ

وقد يكون الباعث على الاستعطاف الرحيل لطلب الجهاد، وممَّن أراد الرحيل لذلك النابغة الجعدي، لكنَّ زوجته لا تلبث أن تقف بدموعها في وجه زوجها حتى لا

يتركها، فإذا بالزوج يبادر لاستعطافها وإقناعها بأنَّه لا يجد سبيلًا للتخلُّف عن الجيش لأنَّ الجهاد فرض من الله تعالى أمر به في كتابه، يقول[28]:

بـاتَـت تُـذَكِّـرِنُـي بِـاللهِ قـاعِـدَةً وَالدَمعُ يَنهَلُّ مِن شَـأنَيهِما سَـبَلا

يـا بنَـةَ عَمّي كِتـابُ اللهِ أَخرَجَني عَنكُم وَهَـل أَمنَعَنَّ اللهَ مـا فَعَلا

فَـإِن رَجَعـتُ فَرَبُّ النـاسِ يُرجِعُني وَإِن لَحِقتُ بِرَبّي فَـابتَغي بَدَلا

مـا كُنـتُ أَعرَجَ أَو أَعمَى فَيَعـذِرَني أَو ضـارِعاً مِن ضـنًى لَم يَستَطِع حِوَلا

وكان فراق أبي خِراش لابنه الذي غزا مع المسـلمين في أيام الخليفة عمر بن الخطاب باعثًا له ليسـتعطف عمر رضـيَ الله عنه، فقدم أبو خِراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، وشكا إليه شوقه إلى ابنه، وأخذ يستعطفه ليردَّه إليه، فأنشأ يقول[29]:

ألا مـن مـبـلـغ عـنـي خِـراشـاً وقـد يـأتـيـك بـالـنـبـأ الـبـعـيـد

وقـد يـأتـيـك بـالأخـبـار مـن لا تـجـهـز بـالـحـذاء ولا تـزيـد

يـنـاديـه لـيـغـبـقـه كـلـيـب ولا يـأتـي، لـقـد سـفـه الـوليـد

فـرد إنـاءه لا شـيء فـيـه كـأن دمـوع عـيـنـيـه الـفـريـد

وأصـبـح دون عـابـقـه وأمسـى جبـال من حرار الشـام سـود

ألا فـاعـلـم خـراش بـأن خـبـر الـمـهـاجـر بـعـد هـجـرتـه زهـيـد

رأيـتـك وابـتـغـاء الـبـر دونـي كمحصـور اللبـان ولا يصـيـد

7- الظُّلم وسلب الحقوق:

ولعلَّ سلب الحقوق من البواعث التي تبعث الشاعر على الاستعطاف رغبةً في إعادة الحقوق وكفِّ الظلم، لا سيَّما أنَّ العربيَّ كان يأنف الظُّلمَ ويرفضه، ولا يقبل أن تُمسَّ له كرامة أبدًا، وفي هذا قول دريد بن الصمة يستعطف بني الديان ليردُّوا أموال جاره[30]:

بَـنـي الـدَيّـانِ رُدّوا مـالَ جـاري وأَسـرى فـي كُـبـولِـهُـمُ الـثِـقـالِ

وَرُدّوا السَـبـيَ إِن شِـئـتُـم بِـمَـنٍّ وإِن شِـئـتُـم مُـفـاداةً بِـمـالِ

فَـأَنـتُـم أَهـلُ عـائِـدَةٍ وَفَضـــــلٍ وأَيـدٍ فـي مَـواهِـبِـكُـم طِـوالِ
مَتى مـا تَمنَعوا شَـــيئـاً فَلَيسَـــت حَـبـائِـلُ أَخـذِهِ غَـيـرَ السُـــؤالِ
وَحَـربُـكُـم بَـنـي الـدَيّـانِ حَـربٌ يَـغَـضُّ الـمَـرءُ مِـنـهـا بِـالـزُلالِ
وَجـارَتُـكُـم بَـنـي الـدَيّـانِ بَسـلٌ وَجـارُكُـمُ يُـعَـدُّ مَـعَ الـعِـيـالِ
حَـذا عَـبـدُ الـمَـدانِ لَـكُـم حَـذاءً مُخَصَّـــرَةَ الصُـــدورِ عَلى مِثـالِ
بَـنـي الـدَيّـانِ إِنَّ بَـنـي زِيـادٍ هُـمُ أَهـلُ الـتَـكَـرُّمِ وَالـفَـعـالِ
فَـأَولـونـي بَـنـي الـدَيَّـانِ خَـيـراً أُقِـرُّ لَـكُـم بِـهِ أُخـرى الـلَـيـالـي

كما استعطف الأسود بن يعفر أخواله من بني عجل ليردُّوا له إبل جاره، فقد كان رجل من بني سعد اسمه طلحة جارًا لبني ربيعة بن عجل فأكلوا إبله، فأتى إلى الأسود بن يعفر يسأله أن يسعى له في إبله، فقال الأسود لأخواله من بني عجل[31]:

يـا جـارَ طَـلـحَـةَ هَـل تَرُدُّ لَـبونَـهُ فَـتَـكـونَ أَدنـى لِـلـوَفـاءِ وَأَكـرَمـا
تَـاللهِ لَـو جـاوَرتُـمـوهُ بِـأَرضِـــــهِ حَـتّـى يُـفـارِقَـكُـم إِذا مـا اَحـرَمـا

8- **التَّنصُّل من الذَّنب:** فقد يُذنبُ الشاعرُ، أو يُتَّهم بتهمٍ مكذوبةٍ عليه، فيحاول أن يبرّئ نفسـه ويدفع التُّهمة عنها، ويسـعى إلى التنصُّـل من الذَّنب عبر الاسـتعطاف، كما فعل النَّابغة الذبياني حين وشى الوشاة بينه وبين الملك النعمان، فأنشأ يقول[32]:

أَتـانِـي أَبَـيْـتَ الـلَّـعـنَ أَنَّـكَ لُـمْـتَـنِـي وَتِلكَ التي تَسْـــتَـكُّ مِنْها المَســـامِعُ
مَقالَـةُ أَنْ قد قلتَ: ســـوفَ أنـالُـهُ وذلـك مـن تِـلـقـاءِ مـثـلـكَ رائـعُ
لَـعْـمِـري ومـا عَـمْـري عـلـيّ بـهـيـنٍ لـقـد نَـطَـقَـتْ بُـطْـلاً عـلـيَّ الأقـارِعُ
أَقـارِعُ عَـوْفٍ، لا أُحـاوِلُ غـيـرَهـا وُجُـوهُ قُـرُودٍ، تَـبـتَـغـي مـنَ تُـجـادِعُ
أتـاكَ امرُؤٌ مُسْـــتَبْطِنٌ ليَ بِغْضَـــةً لـه من عَـدُوٍّ مثـل ذلـك شـــافِعُ
أتـاكَ بقَوْلٍ هَلْهَـلِ النّســـجِ، كـاذبٍ ولم يـأتِ بـالحقِّ الـذي هو نـاصـــعُ

أتــاكَ بــقَــوْلٍ لــم أكُــنْ لأقُــولَــهُ ولو كُبِّلــتْ في ســـــاعــديَّ الجوامعُ

حلَفْـتُ، فلم أترُكْ لنَفسِـــــكَ رِيبــة وهــلْ يــأثمَنْ ذو إمَّــةٍ وهوَ طــائِعُ؟

وكذا قصــيدة أنس بن زنيم حين أنشــأ قصــيدة يعتذر فيها للنبي عليه الصــلاة والسلام ممَّا بدر منه من أذى قبل الإسلام، وقد قال في بعضها[33]:

تَـعَـلَّـم رســـــولَ الله أنــك مُـدركـي وأنَّ وعيــداً مِنــكَ كــالأخــذِ بــاليــدِ

تَــعــلَّــم رســـــولَ الله أنــك قــادرٌ على كُــلّ صِـــــرمٍ مُتهمِين ومُنجــدِ

تَعَلَّم بــأنّ الـركــبَ ركــبَ عُويمرٍ هم الكــاذِبُون المُخلفُو كــلّ مَوعِـد

ونـبُّـوا رســـــولَ الله أنّــي هــجــوتُــه فلا حَمَلَــتْ سَـــــوْطِي إليَّ إذنْ يــدي

ســـــوى أنَّني قــد قلْــتُ ويــلَ أمِّ فتيــةٍ أُصـــــيبُوا بنَحسٍ لا بطَلَقٍ وأســـعُــدِ

أصـــــابَهُمُ مَن لم يكُن لــدمــائِهم كِـفَــاءً فَــعَّــزت عَــبــرتَــي وَتَــبــلُّــدِي

وأمَّا حسَّـــان بن ثابت فقد كان ممَّن خاض في حديث الإفك في حقّ الســـيدة عائشة، لكنَّه ما لبث أن ندم على فعله، فأنشأ قصيدةً يعتذر لها، ويستعطفها، فيقول[34]:

حَصـــــانٌ رَزانٌ مــا تُــزَنُّ بِــريــبَــةٍ وَتُصـــــبِحُ غَرثى مِن لُحومِ الغَوافِـلِ

حليلــةُ خيرِ النَّــاسِ دينًــا ومَنصِـــبًــا نبيّ الهــدى والمكرمــاتِ الفَواضِـــــلِ

عَقيلَــةُ حَــيٍّ مِن لُـؤَيّ بنِ غــالِــبٍ كِرامِ المَســـــاعي مَجــدُهُم غَيرُ زائِـلِ

مُــهَــذَّبَــةٌ قَــد طَــيَّــبَ اللهُ خِــيمَــهــا وَطَــهَّرَهــا مِن كُــلِّ ســـــوءٍ وَبــاطِــلِ

فَــإن كُنــتُ قَــد قُلــتُ الَّــذي قَــد زَعَمتُمُ فَلا رَفَعَــت سَـــــوطي إِلَــيَّ أَنــامِلي

9– **الرثاء:** ومن النادر أن يكون الرثاء باعثًا للاستعطاف، لكنَّ قتيلة بنت الحارث حين قُتِلَ أخوها النضر قدَّمت نصًّا شعريًّا بين يدي النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام ترثي فيه النَّضـــر وتعتب على النَّبيّ قتله له، فهي وإن كانت تعلم أنَّ اســـتعطافها النَّبيَّ لا طائل منه، ولن يعيد لها أخاها، فإنَّ هذا التوجُّه يخفِّف العبْء النَّفســـيَّ عليها،

ويحقّق لها التّوازن النّفسي المطلوب، لذلك توجّهت للنّبيّ عليه الصلاة والسلام تستعطفه وتثير عاطفته، وتقول[35]:

يا راكباً إنّ الأُثَيلَ مَظِنَّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ موفَّقُ
أبلِغْ بها مَيْتاً بأن تحيَّةً ما إن تزالُ بها النَّجائبُ تَخْفِقُ
منّي إليك وعَبْرَةً مَسْفُوحَةً جادت بواكفها وأخرى تَخْنُقُ
هل يَسْمَعنّي النَضْر إن ناديتُهُ أم كيف يَسمعُ ميّتٌ لا يَنطِقُ
أمُحَمَّدٌ يا خير ضَنْءٍ كريمةٍ في قوْمِها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ
ما كانَ ضرّكَ لوْ منَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفتَى وهْوَ المَغيظُ المُحْنَقُ
أو كنت قابل فدية فلينفقن بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنَّضر أقربُ مَن وصلتَ قرابةً وأحقُّهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظلَّت سيوفُ بني أبيهِ تُنوشُه لله أرواحٌ هناك تَشَقَّقُ

10- قطع الأرحام:

ومن بواعث الاستعطاف قطع الأرحام، فيأتي الاستعطاف للمّ شمل الأرحام ووصلها، كما فعلت امرأة من بني هوازن يقال لها أم ثواب، وقد قالت في ابن لها عقها[36]:

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثلُ الفَرْخِ أعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعامِ ترَى في جِلْدِهِ زَغَبا
حتى إذَا آض كَالفُحَّالِ شَذَّبَهُ أبارَهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الكَرَبا
أنْشَا يُمزِّقُ أثْوَابي يُؤَدِّبُني أبَعْدَ شَيْبِيَ عِنْدِي يَبْتَغي الأدَبا

وكذلك قال بعض الضبيّين يخاطب بني تميم يستعطفهم حتى لا يقطعوا الأرحام فيما بينهم[37]:

أَبني تَميمٍ إنَني أنا عَمُكُم لا تَحرَمُنَّ نَصيحةَ الأَعمامِ
إنّي أرى سَبَبَ الفَناءِ وَإنّما سَبَبُ الفَناءِ قَطيعَةُ الأَرحامِ

فَـتَـدارَكـوا بِـأبـي وَأُمـي أَنـتُـم أَرحـامَـكُـم بِـرواجِـع الأَحـلامِ

وأمَّا معن بن أوس فقد تزوَّج زوجة ثانية، فآلى أخو زوجتِه الأولى ألا يكلِّمه أبدًا، فقال معن قصـيدةً يسـتعطفه بها في محاولة للحفاظ على علاقة القربى والصـداقة بينهما[38]:

لَـعَـمـرُكَ مـا أَدري وَإِنّـي لأَوجَـلُ عَـلـى أَيّـنـا تَـغـدو الـمَـنـيَـةِ أَوَّلُ

وَإِنّي أَخوكَ الـدائَمُ العَهـدِ لَم أَحُـلُ إِنِ ابْزاكَ خَصـمٌ أَو نَبـا بِـكَ مَنزِلُ

أُحـارِبُ مَن حـارَبـتَ مِن ذي عَـداوَةٍ وَأَحبِسُ مـالي إِن غَرِمـتَ فـأَعقِـلُ

وَإِن سُـؤتَني يَوماً صَـفَحتُ اِلى غَدٍ لِـيُـعـقِـبَ يَـومٌ مِـنـكَ آخِرُ مُـقـبِـلُ

كَـأَنَّكَ تَشـفي مِنكَ داءً مَسـاءَتي وَسُـخطي وَمـا في رَيبَتي مـا تَعَجَّـلُ

ولمَّا أصـاب أميَّةَ بن الصـلت عقوقٌ من ابنه، أنشـأ قصـيدةً يسـتعطف ابنه فيها، يقول في بعضها[39]:

غَـذَوْتُـكَ مـولـوداً وَعُـلـتُـكَ يـافـعـاً تُـعَـلُّ بـمـا أُدْنِـي إِلـيـك وتَـنْـهَـلُ

إذا ليلـةٌ نـابَتْـكَ بـالشَّـكْوِ لم أَبِـتْ لشَـكْـواكَ إلا سـاهـراً أَتَـمَـلْـمَـلُ

كـأني أنـا المطروقُ دونَـكَ بـالـذي طُـرِقْـتَ بـه دونـي وعـيـنـيَ تَـهْـمـلُ

تَخَـافُ الرَّدَى نَفْسِـي عليـكَ وإنهـا لـتَـعـلـمُ أن الـمـوتَ حـتـمٌ مـؤجّـلُ

11- الحاجة والحرمان:

وقد تكون الحاجة أو المصائب سببًا باعثًا للاستعطاف، فقد تقحط السماء وتجدبُ الأرض، فيضـطرُّ بعض الشـعراء للجوء إلى من يعتقد أنَّه سـببٌ للفرج بإذن الله، كما لجأ لبيد بن ربيعة إلى النبي عليه الصـلاة والسـلام ليطلب منه أن يدعو له ولقومه بالسـقيا، فقال[40]:

أتـيـنـاك يـا خـيـر الـبـريّـة كلّـهـا لـترحـمـنـا مـمّـا لـقـيـنـا مـن الأزل

أتـيـنـاكَ والـعـذراءُ يَـدمَـى لَـبَـانُـهـا وقـد ذَهِـلـت أمُّ الصَّـبـيِّ عن الطّفـل

وألقى تَكنِّيه الشُّجاع استكانة من الجوع صُمْتًا لا يُمَرُّ ولا يُحلي

وَلا شَيءَ مِمّا يَأكُلُ الناسُ عِندَنا سِوى العِلهَزِ العامِيّ وَالعَبهَرِ الفَسلِ

ولَيسَ لَنا إلاَّ إلَيكَ فِرارُنا وأينَ يفرُّ النَّاسُ إلاَّ إلى الرُّسْلِ

فَإِن تَدعُ بِالسُقيا وَبِالعَفوِ تُرسِلِ الـ ـسَماءُ لَنا وَالأَمرُ يَبقى عَلى الأَصلِ

المطلب الثاني: غاياتُ شِعْرِ الاستعطاف.

لقد عمدَ الشعراء منذ الجاهليَّة للاستعطاف لغاياتٍ متنوّعة، فقد وعى الشَّاعر الجاهليُّ أهمِّيَّة الاستعطاف في تحقيق غاياته، وكان منها:

1- **العفو والصَّفح:** وهذه الغاية كثيرة في شعرهم، لأنَّهم كانوا أهل نزاع وحروب، وقد يقع من بعضهم ذنبٌ أو إساءة أو تقصير، أو قد يخضع لسلطة من أساء إليه، فيبادر إلى الخطاب الاستعطافي، على نحو ما فعل كعب بن مالك حين قدم على رسول الله عليه الصلاة والسلام وأنشد بين يديه معتذرًا[41]:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَبْذُولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الذي أَعْطَاكَ نافلَةَ الْـ ـقُرْآنَ فيها مَوَاعِيظٌ وتَفْصِيلُ

لا تأْخُذَنِّي بأَقْوَالِ الوُشَاةِ ولم أُذْنِبْ ولَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ

وقد يُتَّهم الشاعر باتّهامٍ ما، فيعمدُ إلى تقديم الأعذار ليدفع بها التُّهم عن نفسه، ويستعمل لهذا شعرًا استعطافيًّا كمحاولة لاسترضاء المُستعطَف بعد أن سخِطَ عليه، ومن هؤلاء النابغة الذبياني حين اعتذر للملك النعمان واستعطفه ليعفو عنه وينال رضاه، يقول:

يقول[42]:

حَلَفْتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رَيبَةً وَلَيسَ وَراءَ اللهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ

لَئِن كُنتَ قَد بُلِّغتَ عَنّي خِيانَةً لَمُبلِغُكَ الواشِي أَغَشُّ وَأَكذَبُ

فَلا تَتْرُكَنِّي بِالوَعيدِ كَأَنَّني إِلى النّاسِ مَطلِيٌّ بِهِ القارُ أَجرَبُ

2- **الاستبقاء والوصال:**

إذا تعرَّضت بعض علاقات الشاعر للوهن والفتور فإنَّه يعملُ على استبقائها والمحافظة عليها، ومن ذلك ما عرضَ لعبد الرحمن بن أبي بكر حين أمره أبوه بتطليق زوجته عاتكة، لكنَّه استعظم طلاقها لأنَّ قلبه متعلّقٌ بقلبها، ولذلك قال مؤكّدًا لأبيه بأنَّ فراقه لها أمرٌ عظيم جدًّا لا يقدرُ عليه، يقول[43]:

يقولون طلِّقها وخيِّم مكانَها مُقيماً، تمنَّى النفس أحلام نائمِ

وإنَّ فراقي أهلَ بيتي جميعَهم على كرهٍ مِنّي لإحدى العظائمِ

ثمَّ عزم عليه أبوه حتى طلَّقها، ثمَّ إنَّه أنشأ أبياتًا يذكر تعلُّقه بها، فرقَّ له أبوه، فارتجعها، وفيها يقول[44]:

أعاتكُ لا أنساك ما ذرَّ شَارقٌ وما ناحَ قمريٌّ الحَمامِ المُطوقُ

أعاتِكُ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ إليكِ بما تُخْفِي النُّفوسُ معلَّقُ

ولم أرَ مِثْلِي طلَّق اليومَ مثلها ولا مِثْلها في غيرِ جُرْمٍ يُطلَّقُ

لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأيٌ مُنصَّبٌ وخلق سويٌّ في الحياةِ ومصدقُ

وهذه ابنة سلامة بن جندل تستعطف أباها ليكف عن الغزو لأنَّ هذا يعرِّضه للقتل، ويعرِّضها لليتم، ولكنَّ محاولتها تفشل، ولا يلتفت الأب لندائها، بل يطلب منها أن تتوقف عن إثارة شفقته، وأن تقدم له بدائل عن الغزو الذي يجمع به المال لاستمرار عيشهم، يقول سلامة[45]:

تقولُ ابنتي: إنَّ انطلاقكَ واحداً إلى الرَّوعِ، يوماً تاركي لا أباليا

وأمَّا ابنة الأعشى فقد جعلت تستعطف أباها ليبقى معها ومع أخواتها، معبرة عن الخوف والقلق من ابتعاده، وقد صوَّر ذلك الأعشى في قصيدة له يقول في بعضها[46]:

تَقولُ ابْنَتي حينَ جَدَّ الرَحيلُ أَرانا سَواءً وَمَن قَد يَتِمْ

أَبانا فَلا رِمتَ مِن عِندِنا فَإِنّا بِخَيرٍ إِذا لَم تَرِمْ

وَيا أَبَتا لا تَزَل عِندَنا فَإِنّا نَخافُ بِأَن تُختَرَمْ

أَرانا إِذا أَضمَرَتكَ البِلا دُ نُجفى وَتُقطَعُ مِنّا الرَحِمْ

(إن ابنة الشاعر حينما رأته جادًّا في سفره، أدركت الأخطار التي قد تواجهه، وهي أخطار قد تؤدي إلى موته، ولذلك فإنها رأت في رحيله خطرًا حقيقيًّا يهدده ويسلمه للموت... وإذا كان رحيل الشاعر يحمل مثل هذا الخطر، فإنَّها تتوجه إليه في البيت

الثاني بدعاء لعله يستجيب له وهو أن يبقى حيث هي وأن يعدل عن رحيله... وعلى هذا النحو تستعطف الابنة أباها، وتحاول إثارة كل مشاعر الأبوة نحوها لمنعه من السفر)[47].

3- **ردُّ المبعدين:**

فهذا أبو خِراش يجلس بين يدي عمر بن الخطَّاب، ويشكو إليه شوقه إلى ابنه الذي ذهب للغزو وتركه، فيقول[48]:

ألا مَن مُبْلِغٌ عنّي خِراشًا وقد يأتيك بالنبأ البعيدُ

وقد يأتيك بالأخبار من لا تجهِّز بالحِذاءِ ولا تزيدُ

يناديه لِيَغْبِقَه كُليبٌ ولا يأتي، لقد سَفِه الوليدُ

فرَدَّ إناءه لا شيءَ فيهِ كأنَّ دموعَ عينيه الفريدُ

4- **التحريض والثأر:**

فقد خرجت خويلة عجوز بني رئام ولحقت بمَرْضاوي بن سعوة المهري، وهو ابن اختها، فأناخت بفنائه وأنشأت قصيدة تستعطفه ليثأر لقتل إخوته، قالت في بعضها[49]:

يَا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ وَأَمْنَعَ مَلْجَأٍ وَأَعَزَّ مُنْتَقِمٍ وَأَدْرَكَ طَالِبِ

جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الثَّكَالَىْ تَغْتَلِيْ بِسَوَادِهَا فَوْقَ الْفَضَاءِ النَّاضِبِ

فَابْرُد غليلَ خُويلَةَ الثَّكلى الَّتي رُمِيَتْ بأثقلَ مِنْ صُخُورِ الصَّاقِبِ

وتَلافَ قَبْلَ الفَوتِ ثَأْرِي إنَّه عَلقٌ بثَوْبَي دَاهِنٍ أَوْ نَاعِبِ

5- **العتاب:**

وقد تكون غاية الاستعطاف العتاب كما فعلت قتيلة بنت الحارث حين قُتِلَ أخوها النضر فجعلت ترثيه وتبكيه، ثمَّ توجَّهت للنَّبيّ عليه الصلاة تعاتبه، فقالت[50]:

أمُحَمَّدٌ يا خير ضَنْءِ كريمةٍ في قوْمِها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ

ما كانَ ضرّكَ لوْ منَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفتَى وهْوَ المَغيظُ المُحْنَقُ

أو كنت قابل فدية فلينفقن بأعز ما يغلو به ما ينفق

فـالنَّضـــر أقربُ مَن وصـــلتَ قرابـةً وأحـقُّـهـم إن كـان عِـتْـقٌ يُـعْـتَـقُ

ظلَّـت ســيوفُ بني أبيـهِ تُنوشُـــه لله أرواحٌ هـــنـــاك تَشـــقَّـــقُ

6- **استنهاض الهمم وإثارة الحميَّة والحماسة:** فقد يعمد الشاعر لتحريك هِمَم قومه أو حثِّهم على أمرٍ وحضِّـــهم عليه، كما فعلت ليلى بنت لكيز حين أســـرها أحد أمراء العجم وحملها إلى فارس، فقالت تحرِّض قومها وتحثُّهم على إنقاذها[51]:

لَـــيـــتَ للِـــبَـــرَّاقِ عَيـــنـــاً فَـــتَـــرى مـــا أُقاســـي مِـــن بَـــــلاءٍ وَعَـــنـــا

يـــــــا كُلَيبـــــــاً وعُقيلًا إخوتي يـــا جُنَـــيـــداً أسعدوني بِالبُـــكـــا

عُـــذِّبَـــت أُختُـــكُـــمُ يـــــا وَيلَـــكُـــم بِعـــذابِ النُكـــرِ صُبـــحـــاً وَمَـــســـا

غَلّلِـــونـــــي قَيِّـــــدونـــــي ضـربوا مـلـمـس الـعـفَّـة مـنِّـي بـالـعصـــــا

المطلب الثالث: خصائص شعر الاستعطاف:

إنَّ معرفة خصـائص الكلام تعين على تصـوُّر صـورة شـاملة عنه تُسـاهم في توضـحيه وفهمه، وإنَّ شـعر الاسـتعطاف كغيره من موضـوعات الشـعر العربيّ له ميزات وخصـائص، ولقد اكتسـب خصـائصـه من بواعثه التي ينطلق منها، وغاياته التي يسـعى إليها.

إنَّ مفردات الشـــعر الاســـتعطافي مفرداتٌ مختارةٍ بعناية، والشـــاعر يلتمسُ في استعطافه المفردات التي تناسب المقام الاستعطافيَّ، فإذا أراد أن يؤجِّج المشاعر اختار ما يثير العواطف ويحفِّزها من لين وترفُّقٍ وتودُّد واستمالة، وإذا أراد أن يحاجج العقل اختار ما يناســـبُ الخطاب الحجاجي والعقلاني، وقد بيَّن ابن عبد ربّه الأندلســـي دور الكلام الاستعطافي في استمالة القلوب وسلِّ الأحقاد، حين قال: (والكلام الرقيق مصايد القلوب، وإن منه لَمَا يستعطف المستشيط غيظًا، والمندمل حقداً، حتى يُطفئ جمرة غيظه، ويسلَّ دفائن حقده؛ وإن منه لما يستميل قلب اللئيم، ويأخذ بسمع الكريم وبصره؛ وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة، وشافعاً مقبولاً)[52].

ويمكن إجمال خصائص الشعر الاستعطافيّ، في الآتي:

- شعرٌ يفيضُ بمعاني التودُّد والرجاء والتَّلطُّف، وهذا هو العنصر الرئيس له، فمناط الاستعطاف التودُّد والانكسار للمُخاطَب لاستدرار العطف، و(المستعطف يتوسَّل في شعره شتى الوسائل والسبل ليصل إلى مبتغاه وينال عفو المستعطَف ورضاه، ويعيد صفاء الروابط ويغسل سخام القلوب ويمحو ما علق فيها من ضغينة)[53].
- شعر يشتمل على الألفاظ الرقيقة الَّي تُلطِّف قلوب المُستَعطَفين وتستميلها، فمقام التودد يتطلَّب رقَّةً ولطفًا في الألفاظ، وترفُّقًا في المعاني والأفكار.
- معاني شعر الاستعطاف معانٍ واضحة لا غموض فيها، بل هي ترتكز على الوضوح في الرسالة، لضمان فهم المُخاطَب لها.
- أفكاره مُنسابة سلسلة لا تكلَّف فيها، تنبئ عن صدقها وتلقائيَّتها.
- إيقاعه جرسي متنوّع بسبب تنوَّع مناخ كل قصيدة استعطافية وبواعثها.
- لا يكاد يخلو من الشكوى أو ذكر المعاناة النَّفسيَّة أو الجسديَّة سواء كانت للشَّاعر أو لقومٍ يخصُّونه يستعطف لهم الملك أو السِّيِّد لينهي معاناتهم.
- الحجاج في الخطاب، وهذه خصيصة تميّز الاستعطاف، ففي الوقت الذي يسعى الشاعر لاستدرار عطف المُخاطَب يقوم أيضًا باستعمال الحجاج ليضمن استثارة عقله وإقناعه بالتجاوز عنه.
- الارتباط بالإقناع عبر آليَّات إقناعيَّة منوَّعة.
- يشتمل شعر الاستعطاف على التقريرية في الخطاب في معظم الأحيان، فهو رسالة مباشرة من الشاعر إلى المُستَعطَف تقتضي التوجُّه مباشرةً إليه دون الالتفات عنه بضمير الغائب.
- لا يكاد ينفصل شعر الاستعطاف عن المدح المؤسِّس له، إذ يُفعِّل الشاعر المدح كخطوة استباقيَّة للاستعطاف في سبيل إشباع حاجة المُستَعطَف للثناء، وإشعاره بحاجة المُستَعطِف له.
- تتباينُ حدَّة الانفعال العاطفي في الاستعطاف بحسب الباعث المُسبِّب له وحسب الموقف الشُّعوري.

الخاتمة:

كان لشعر الاستعطاف دورٌ مهمٌّ في شعر العرب، فالشاعر العربي في الجاهليَّة وما بعدها وعى أهمِّيّة الخطاب الوظيفي في توجيه السلوك الإنساني، فأنشأ شعر الاستعطاف الذي كان له بواعث زمانيَّة ومكانيَّة ونفسيَّة أسهمت في تشكيله، وغايات متنوِّعة أسهمت في توجيهه، وخصائص شكَّلت الميِّزات العامَّة له.

الهوامش:

1. التفتازاني (مسعود بن عمر): **مختصر المعاني في البلاغة**، مكتبة البشرى، كراتشي، ط1، 1431هـ- 2010م، ص231.

2. محمد جاسر جبالي الأسعد: **الاستعطاف في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف**، (رسالة ماجستير) جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2003م، ص8-9.

3.وسام علي محمد الخالدي: **ظاهرة الاستعطاف في شعر ابن الآبار البلنسي**، مجلة كلِّيَّة التربية للبنات للعلوم الإنسانيَّة،جامعة الكوفة، المجلد9، العدد 16، 2015، ص230.

4. يوسف إبراهيم قطريب، **ابن خلدون أديبًا**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 2016م، ص50.

5. نزهة بوعياد: **الشعر في بلاط النعمان بن المنذر**، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 81، 2006م، ج2، ص287-288.

6. عبد العزيز عتيق: **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، ص230.

7. عزوز زرقان، **شعر الاستصراخ في الأندلس**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص8.

8.عدي بن زيد العبادي **(ديوان عدي بن زيد)**: تحقيق: محمد جبار المعيبد، دار الجمهوريَّة للطباعة والنشر، بغداد، 1385هـ/ 1965، ص 37-38-39.

9. المصدر نفسه، ص 151.

10. المصدر نفسه، ص38. يُدهدى: يُدحرَج. قليب: البئر العاديَّة القديمة التي لا يعلم لها ربٌّ ولا حافر، تكون في البراري.

11. المصدر نفسه ص93-94.

12. الأعشى (ميمون بن قيس): **ديوان الأعشى**، تحقيق: محمود إبراهيم الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ط1، 2010م، ج2/ ص278. منكص: مصدر ميميٌّ من نكصَ عن الأمر أي: تراجع وأحجم. علاثة: أبو علقمة، والأحوص جدُّه. أفحلوا: صار لهم فحل وهو الذَّكَر من كلِّ حيوان وقد يُطلَقُ على الضَّخم الكريم. بصبصَ البعير: حرَّك ذنَبهُ. والبصبصة: التَّملُّق. فحصَ عنه: فتَّش عن عيوبه. بهَرَ القمر: أضاء حتَّى غلبَ ضوؤه على الكواكب. البرص: داء يصيبُ الجلد منه بقع بيضاء، وسمُّوا القمر أبرص على التَّشبيه بمن يصيبه البرص. تُنمي: تزيد.

13. بشير يموت: **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، المكتبة الأهلية، بيروت،ط1، 1352 هـ/1934 م، ص32-33.

14. علقمة الفحل (علقمة بن عَبَدة): **ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري**، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ط1، 1389هـ/1969م، ص 48.

(15) الحطيئة (جرول بن أوس): **ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني**، تحقيق: نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1378هـ/1958م، ص 208.

16. واضح الصمد: **السجون وأثرها في الآداب العربيَّة من العصر الجاهليّ حتى نهاية العصر الأموي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ص35-36. القموص: سجن من سجون خيبر.

17. النابغة الذبياني (زياد بن معاوية): **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص 72.

18. بشر بن أبي خازم: **ديوان بشر بن أبي خازم**، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1379هـ/1960م، ص43.

19. ابن عبدِ ربّه (أحمد بن عبد ربّه): **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، ج2 5/162.

20. ابن قتيبة الدينوري (عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم)، **الشعر والشعراء**،، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دط، د.ت، ص154-156.

21. أحمد محمد الحوفي: **المرأة في الشعر الجاهلي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، د.ت، ص447.

22. ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير) **البداية والنهاية**، دار الفكر، بيروت، 1407 هـ/1986 م، 4/278.

23. ابن الزبعرى (عبد الله بن الزبعرى): **ديوان ابن الزبعرى**، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ/1981م، ص45-46. البلابل: الوساوس المختلطة والأحزان. معتلج: مضطرب يركب بعضه بعضًا. البهيم: الذي لا ضياء له. غشوم: لا ترد عن وجهها.

24. المصدر السابق، ص36.

25. خليل محمد عبد العال: **الحياة والموت في شعر صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2012 ،ص140.

26. سلامة بن جندل: **ديوان سلامة بن جندل**، صنعة محمد بن الحسن الأحول، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1114هـ/1994م، ص51.

27. أحمد الحوفي: **المرأة في الشعر الجاهلي**، ص 208.

28. ابن قتيبة الدينوري (محمد عبد الله بن مسلم): **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 293/1.

29. الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين): **الأغاني**، تحقيق: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1415 هـ-1994م، 149/21. الكليب: من الكلب بمعنى الظمأ، يغبقه: يسقيه مساء. الفريد: اللؤلؤ. حرار: جمع حرة، الأرض فيها حجارة سوداء. اللبان: موضع اللبب من الصدر، والمحصور: المشدود

30. دريد بن الصمة: **ديوان دريد بن الصمة**، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت ص149. العائدة: التعطُّف والبِرُّ. بسْلُ: الَبسْلُ: المحرَّم. مخصَّرة: أي دقيقة.

31. انظر: الأغاني، ج13/ص16-17.

(32) النابغة الذبياني، الديوان، ص34-35-37

33. إبراهيم عبد القادر محمد: **شعر الاعتذار في العصر الجاهلي إلى آخر صدر الإسلام**، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة، 1405هـ/1985م، ص439-440. تعلَّم: اعلم. صرم: بيوت مجتمعة. متهمين: ساكنين في التهام وهي المنخفض من الأرض. المُنجد: من يسكن النَّجد وهو المرتفع. الطلق: الأيام السعيدة، ويُقال: يوم طلق إذا لم يكن فيه حرٌّ ولا بردٌ ولا شيءٌ فيه يؤذي. تبلُّدي: تحيُّري.

34. عبد الرحمن البرقوقي: **شرح ديوان حسَّان بن ثابت**، المطبعة الرحمانيَّة، مصر، 1347هـ/1929م، ص324-325. الحصان هنا: العفيفة، والرزان: الملازمة موضعها، وامرأة رزان: إذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف. ما تزنُّ: ما تُتَّهم. غرثى: جائعة. الغوافل: جمع غافلة يريد أنها لا ترتع في أعراض النَّاس. الحليلة: الزوجة. العقيلة: الكريمة. الخِيم: الطبع والأصل.

35. ابن سـيد الناس: **مِنَحُ المدح**، تحقيق: عفت وصـال حمزة، دار الفكر، دمشـق، ط1، 1407هـ/1987م، ص 139-140.ص360.

36. الخطيب التبريزي (يحيى بن علي بن محمد الشـيباني): **شـرح ديوان الحماسـة لأبي تمام، دار القلم، 316/1**. آض كالفحال: صار كفحل النخل، وأم الطَّعَام الْمعدة والزغب صغَار الريش، يمزق أثوابي كِنَايَة عَن الإهانة والتقريع، الترجيل غسـل الشّـعْر ومشـطه واللمة الشّـعْر الْمُجْتَمع المجاوز شحمة الْأذن، عرسه امْرَأَته والأرب الْحَاجة.

37. حسـن بن عيسـى أبو ياسـين: **شـعر ضـبة وأخبارها في الجاهلية والإسـلام**، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1416هـ/1995م، ص277.

38. أبو تمام (حبيب بن أوس): **ديوان الحماسة**، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد الصالح، منشورات وزارة الثقافة والإعلام -الجمهورية العراقية، دار الرشـيد للنشـر، 1980م، ص 326-327، وانظر: معن بن أوس المزنى (ت 64 هـ): **ديوان معن بن أوس**، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، حاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1977م، ص93-94. أبزاك: بطش بك وغلبك.

39. أمية بن أبي الصلت: **ديوان أمية بن أبي الصلت**، صنعة عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية، دمشق، 1974، ص430-431.

40. إحسان عباس: **شرح ديوان لبيد بن ربيعة**، تحقيق: إحسان عبَّاس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962، ص277. الأزْلِ: ضيق العيش. اللبان: الصدر. ألقى تكنِّيه: استسلم. العلهز: صوف مدقوق مع القردان يأكلونه في الجدب. العامي: الحولي. العبهر: اسم من أسماء النرجس. الفسل: الضعيف.

41. ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ص154-156.

42.النابغة: **الديوان**، ص 72. الرِّيبة: الشَّـك. وراء الله: أي ليس بعد اليمين بالله عزَّ وجلَّ للمرءِ مذهبُ. الواشي: النَّمَّام الذي يُزيِّن كذبه عندك. القار: القِطْران.

43. ابن سـيد الناس، منح المدح، ص351، وانظر: النويري (أحمد بن عبد الوهاب): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ص137/19.

44. منح المدح، ص351، وانظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، ص137/19.

45. سلامة بن جندل، الديوان: ص51.

46. الأعشى: الديوان، ص78.

47. عبد العزيز محمد طشـطوش ومها عبد القادر المبيضـين: **مواقف إنسـانية في الشـعر الجاهلي علاقة الشـاعر بابنته أنموذجا**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـق – المجلد ٨٥، 2010م، ج٣، ص742-743.

48. الأصفهاني: الأغاني، 149/21.

49. الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص447.

50. ابن سيد الناس: منح المدح، ص360.

51. بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، 32-33.

52. ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ص122.

53. وسام علي محمد الخالدي: ظاهرة الاستعطاف في شعر ابن الآبار البلنسي، ص238.